

هو العليم

آخر الأيام والساعات من حياة سيّد الكائنات

بحث منتخب من «معرفة الإمام»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

اللحظات الأخيرة من عُمر رسول الله ووصيته لفاطمة عليها
السلام

قال الشيخ الكبير والمفسر العظيم أمين الإسلام أبو
عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ قدّس الله نفسه صاحب
تفسير «مجمع البيان» في كتابه النفيس الممتع «إعلام
الورى»: وضع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رأس
رسول الله صلى الله عليه وآله في حجره، فأغمي عليه،
وأكبت فاطمة تنظر في وجهه و تندبه و تبكي و تقول:

ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه و قال

بصوت ضئيل: **يَا بُنَيَّةُ! هَذَا قَوْلُ عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ، لَا**

تَقُولِيهِ! وَلَكِنْ قُولِي: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}.^١

فبكت طويلاً فأوماً إليها بالدنو منه، فدنت إليه، فأسرَّ

إليها شيئاً تهلّل له وجهها.^١ ثمّ قضى و يد أمير المؤمنين

اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه

فمسحه بها. ثمّ وجّهه وغمّضه ومدّ عليه إزاره واشتغل

بالنظر إلى أمره.

^١ روى البخاري في صحيحه، ج ٦، ص ١٠، طبعة بولاق، باب مرض النبي من كتاب النبي بسنده عن عائشة قالت: دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه، فسارّها بشيء فبكت. ثمّ دعاها فسارّها بشيء فضحكت. فسألنا عن ذلك، فقالت: سارّني النبي صلى الله عليه وآله و سلم أنّه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت. ثمّ سارّني فأخبرني أنّي أول أهله يتبعه فضحكتُ.

فسئلت: ما الذي قال لك رسول الله فسرى عنك؟!

قالت: أخبرني أيّ أوّل أهل بيته لحوقاً به و أنّه لن تطول

المدة بي بعده حتّى أدركه فسرى ذلك عني^١.

و من الواضح هنا أنّ رسول الله لم يُردّ أن يمنع

فاطمة من حقيقة و مفاد الشعر الرفيع الذي أنشده أبو

طالب عليه السلام. بل أراد أن يُشعرها بأنّ يوماً عصيباً

ينتظرها، وأنّ الراجعين عن الإسلام سوف يقتلونها

ويغصبون حقّها وحقّ بعلها، وكلّهم سيعودون إلى

البربريّة و الجاهليّة حسب هذه الآية. وأنّها و بعلها عليّ بن

أبي طالب من الشاكرين، وأنّ ذيل الآية: **{ وَ سَيَجْزِي**

اللّه الشَّاكِرِينَ } سيكون لهما.

^١ «إعلام الوري بأعلام الهدى» ص ١٤٣. و ذكرها الشيخ المفيد أيضاً في

«الإرشاد» ص ١٧٣، طبعة إسلاميّة الحديثة سنة ١٣٦٤ هـ. ش. و روى ابن

سعد في طبقاته، ج ٢، ص ١٩٣، بسنده عن ابن عبّاس أنّه لما نزلت **{ إِذَا جَاءَ**

نَصْرُ اللّهِ وَ الْفَتْحُ } دعا رسول الله صلى الله عليه و آله فاطمة فقال: **إِنِّي نُعِيْتُ**

إِلَى نَفْسِي. قالت: فبكيّت. فقال: لا تبكٍ فإنّك أوّل أهلي بي لحوقاً فضحكّت. و

قال رسول الله **{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَ الْفَتْحُ }** و جاء أهل اليمن و هم أرقّ أفئدة

و الإيمان يُبان، و الحكمة يمانيّة. فاستعدّ للارتحال إلى ربّك بالحمد و التسبيح و

الثناء، فهو التوّاب الغفّار.

كيف يمكن أن نتصوّر أنّ رسول الله يمنع بنته من
شعر حاميه و معينه و ناصره الوحيد في مكّة في حين أنّه
عندما ذكر شعر أبي طالب سرّ سروراً بالغاً حتى ضحك
من شدّة السرور والفرح؟

شعر أبي طالب في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله

ذكر عليّ بن عيسى الإربليّ في باب معجزات رسول
الله أنّ من معجزاته نزول المطر بدعائه صلى الله عليه
و آله، وذلك حين شكّا إليه أهل المدينة فدعا الله،
فمطروا حتى أشفقوا من خراب دورها فسألوه في كشفه،
فقال: **اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَ لَا عَلَيْنَا**. فاستدار حتى صار
كالإكليل و الشّمس طالعةً في المدينة، و المَطْرُ يَجِيءُ عَلَيَّ
مَا حَوْلَهَا يرى ذلك مؤمنهم و كافرهم.

فضحك صلى الله عليه و آله و قال: **لله دُرُّ أبي**
طالبٍ لو كان حياً قرّت عيناه. فقام أمير المؤمنين عليّ بن
أبي طالب عليه السلام و قال: **يا رسول الله! كأنك تريد**
قوله:

و أخرج البخاريّ في صحيحه عن عبدالله بن عمر
قال: ربّما ذكرتُ قول أبي طالب و أنا أنظر إلى وجه رسول
الله صلى الله عليه و آله على المنبر يستسقي. فما ينزل
حتى يجيش كلُّ ميزاب:
وَ أْبَيْضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامَ

و روى البيهقيّ في «دلائل النبوة» عن أنس أن أعرابياً
جاء فقال: يا رسول الله! لقد أتيناك ما لنا بعيرٌ يَنْطُ، وَ
لَا صَبِيَّ يَصِيحُ. فصعد صلى الله عليه و آله المنبر ثم رفع
يديه فقال: **اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيًّا مَرِيعًا، غَدَقًا طَبَقًا،**
عَاجِلًا غَيْرَ رَابِثٍ،^٢ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ! فما ردّ يديه في نحره
حتى أَلْقَت السماء بأردافها، و جاؤوا يَضْجُونَ: الغَرْقُ
الغَرْقُ.

فضحك رسول الله صلى الله عليه و آله حتى بدت
نواجذه، ثم قال: **لله دَرُّ أَبِي طَالِبٍ لَوْ كَانَ حَيًّا قَرَّتْ عَيْنَاهُ،**

^١ قال في «جامع الشواهد»: الغمام منصوب بنزع الخافض. يعني: من الغمام -
انتهى. فيكون قوله: «بوجهه» نائب فاعل للفعل المجهول: يُسْتَسْقَى.
^٢ «الأمالي» للمفيد: يئطّ. و أظّ الإبل: حنّت.

مَنْ يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ؟ فقام عليّ عليه السلام فقال: يا رسول
الله! كأنك أردت قوله:

و قال السيوطي أيضاً: هذا من قصيدة لأبي طالب
يمدح بها النبيّ صلى الله عليه و آله ويصف تمازياً قريش
عليه، و أولها:

إلى أن قال:

وقال:

و أضاف العلامة الأميني بعد البيتين اللذين يبدآن
بقوله: و أبيض... و يلوذ به الهلاك... هذا البيت:

يستبين من هذه المطالب أن رسول الله صلى الله
عليه و آله كان يحبّ السيّد أبا طالب حباً شديداً، و كان

يهتمّ بشعره اهتماماً تامّاً، بَيَدَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ
العصبية - و هو على فراش الموت - وقائع مُقلِّقة إلى
درجة أنّ شعر أبي طالب يُنسى معها.^١

هل يمكن أن نتصوّر خطراً أكثر من طعن رسول الله
بأهذيان و التخريف؟ و من ثمّ عزل وليّ الدين الأعظم
عليّ المرتضى سيّد الوصيّن أحد الثقلين عن رئاسة
المسلمين و زعامتهم؟ والتجرؤ على ساحة الرسول
الأكرم بوصفه بالهجر حين طلب كتفاً و دواة ليُحکم أمر
عليّ، و يعلن للناس وصايته بتعليمات خطيّة مؤكّدة،
ناهيك عن خطبه و كلماته التي كان يُدلي بها! وإثارة
الضجّة برفع الصوت عالياً بكلمة: كَفَانَا كِتَابُ اللَّهِ، و
إكثار اللغط و الجلبة و الضوضاء؟ و إيذاء رسول الله و
إعناته، ليفارق الدنيا مغموماً مهموماً حزيناً، بعد ثلاث و
عشرين سنة من القيام بمهمّة النبوة؟

^١ شرح شواهد المغني» للسيوطي، ج ١، ص ٣٩٥ إلى ٣٩٨.

أمر رسول الله بسدّ الأبواب و الإتيان بالكفّ و الدواة

لكتابة الوصيّة

قال ميرخواند - وهو سنّي المذهب - في «روضة الصفا»: قالت أمّ سلمة: شدّ رسول الله على رأسه المبارك عصابة أيّام مرضه، و صعد المنبر، و استهلّ كلامه بالاستغفار لشهداء أُحُد، ثمّ أمر بسدّ أبواب الصحابة الشارعة في المسجد إلّا باب عليّ. و قال: لا بدّ من صُحبته لي و صُحبتني له.

قال عمر: يا رسول الله! إيّذن لي أن أدع خوخة أرى فيها خروجك من البيت إلى المسجد! فلم يأذن له. فقال أحد الصحابة: يا رسول الله! ما هو المراد من فتح الأبواب؟! و ما سبب سدّها؟ قال: ما بأمرني سدّها و لا بأمرني فتحها.

(إلى أن قال): روى علماء السير أنّه لما اشتدّت العلة برسول الله و كان أصحابه مجتمعين حوله في حجرته قال: إيّتوني بدواة و صحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده. فاختلفوا، فمن قائل: قرّبوا يكتب لكم. و من قائل:

هل هذا كلام من اشتدّ به المرض، أم كلام جدّ؟ فقال عمر: غلب على رسول الله الوجد. عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله. فمنهم من أيّد عمر، و منهم من أصرّ على خلافه و قالوا: قرّبوا له ما أراد، فاختموا، و علت الأصوات في مجلسه المبارك، وتجاوز الاختلاف حدّ الاعتدال.

فقال النبيّ الأقدس صلى الله عليه و آله: قوموا، لا ينبغي عند نبيّ نزاع! و مع ذلك قال: أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب! و أجزوا الوفد بنحو ما كنت أجزهم.

روى سليمان هذا عن سعيد بن جبير و قال: لا أعلم، لم ير سعيد بن جبير مصلحة في ذكر الثالثة، أو أنّه ذكرها لكنّ عناكب النسيان نسجت خيوطها في خاطري؟

قال ابن عبّاس: الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله و بين أن يكتب لهم.^١ [إلى أن قال:] قال أمير

^١ هذه المطالب كلّها التي ذكرها مير خواند في «روضة الصفا» أوردها مير خواند في «حبيب السير»، ج ١، ص ٤١٩. و قال أيضاً: يرى علماء الشيعة أنّ

المؤمنين عليّ عليه السلام: أوصى النبيّ في مرضه الذي مات فيه. ولما فرغ، نزلت سورة النصر. قلتُ: يا رسول الله! هذه وصية المودّعين؟

قال: نعم يا عليّ! ضاق صدري من هذه الدنيا. ثمّ اتكأ، وأغمض عينه لحظة. ولما أفاق قال: يا جبرئيل! خذني وفِ بما وعدتني! ثمّ دعاني إليه و وضع رأسه المبارك على منكبي، وشحب لون وجهه الميمون، و تصبّب جبينه عرقاً.

حزن فاطمة عليها السلام لفقد أبيها

ولما رأت فاطمة ما به، قامت لجزعها، و أخذت بأيدي الحسين و صاحت: يا أبتاه! من يرحم حال ابنتك فاطمة بعدك؟ و من يواسي ولديك الحسين؟! و من يحفظ أفواج الناس القادمين من أطراف الآفاق؟ يا أبتاه! بنفسي

سبب رفض الصحابة كتابة الكتاب هو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يكتب وصية في ولاية أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه. و البيتان الآتيان الواردان في كتاب «كشف الغمّة» يُشعران بهذا المعنى: أوصى النبيّ
فَقَالَ قَائِلُهُمْ *** قَدْ ضَلَّ يَهْجُرُ سَيِّدُ الْبَشَرِ وَ أَرَى أَبَا بَكْرٍ أَصَابَ وَ
لَمْ *** يَهْجُرْ وَ قَدْ أَوْصَى إِلَى عُمَرَ

أنت! ويل أذني التي لن تسمع كلامك الطيب، وويل عيني
التي لن ترى وجهك الحسن!

و لما سمع النبي الأقدس صلى الله عليه و آله أنين
فاطمة، فتح عينيه و دعاها إليه و وضع يده المباركة على
صدر ابنته العزيزة وقال: اللهم اربط على قلب فاطمة! ثم
قال لها: أبشري، فأنت أول أهلي لحوقاً بي!

قال عليّ عليه السلام: قلتُ: يا فاطمة! اسكتي و لا
تذري الملح على جرح رسول الله! فقال النبي: دعها
تذرف دموعها على أبيها! ثمّ أغمض عينيه المتعبتين. و
قالت فاطمة للحسين: قوما و ائتيا أباكما الرحيم! لعله
ينضحكما بما يسكن قلبيكما. فامتثل قرّتا عين الزهراء كلام
أمّهما، و جاءا عند رسول الله. فقال الحسن: يا أبتاه كيف
نصبر على فراقك؟! و من الذي نودعه أسرارنا؟! و من
يرحمنا أنا و أخي و أبي بعدك؟!...

قال عليّ بن أبي طالب: فبكيّتُ جزعاً...^١

^١ روى سليم بن قيس في كتابه ص ٢١٣، الطبعة الثالثة، النجف عن ابن عبّاس
أنّه قال: سمعت حديثاً من عليّ عليه السلام لم أفهم معناه، سمعته يقول: إنّ

و قال رسول الله لعائشة: يا عائشة! عليك أن تجلسي

في ركن بيتك، و تمسّكي بعروة الصبر و الستر و الحفظ

الوثقى كما قال الحقّ تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} ١

قال هذا الكلام و بكى بكاءً سجرت به نار المصيبة

عند الجميع. قالت أمّ سلمة: ممّ بكائك و قد غفر الله لك

ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟!!

قال: **إِنَّمَا بَكَيتُ رَحْمَةً لِّأُمَّتِي**. ثمّ بشر فاطمة، فسألته:

أين أجلك يوم الفزع الأكبر؟! قال: تجديني على باب الجنة

رسول الله أسرّ إليّ في مرضه و علّمني مفتاح ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب. و إنّي لجالس بذى قار في فسطاط عليّ و قد بعث الحسن و عمّاراً يستنفران الناس إذ أقبل عليّ عليه السلام فقال: يا ابن عبّاس! يقدم عليك الحسن و معه أحد عشر ألف رجل غير رجل أو رجلين. فقلت في نفسي: إن كان كما قال فهو من تلك الألف باب. فلمّا أظنّنا الحسن بذلك الجند استقبلتُ الحسن، فقلت لكاتب الجيش الذي معه أسماؤهم: كم رجل معكم؟ فقال: أحد عشر ألف رجل غير رجل أو رجلين.

١ الآية ٣٣، من السورة ٣٣: الأحزاب. {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

الْمُجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}. هذه الآية تخاطب نساء النبيّ صلى الله عليه و آله. و أشار

رسول الله قائلاً لعائشة و هو ينصحها: ما أنتِ و حرب الجمل و ركوبك الجمل

تقودين الجيش في ساحة القتال؟! قرّري في بيتك أيتها المرأة و لا تخرجي من قعره

طاعة لهواك، و طلباً للرئاسة، و حقداً دفيناً على عليّ عليه السلام!

تحت لواء الحمد، و أنا مشغول باستغفار الرحمن من ذنوب
أمّتي...

و وقف عزرائيل على باب حجرة رسول الله
المباركة بهيئة أعرابي، و قال: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ
النُّبُوَّةِ وَ مَوْضِعِ الرِّسَالَةِ! أَتَأْذِنُوا لِي بِالدُّخُولِ رَحْمَكُمُ
اللَّهِ؟!**

و كانت فاطمة الزهراء جالسة على فراش أبيها،
فقالت: **رسول الله مشغول بنفسه فلا تتيسر زيارته
الساعة.**

ثم استأذن ملك الموت ثانية فسمع الجواب نفسه. و
في الثالثة رفع صوته عالياً حتى رجف لهيبته كلّ من كان
حاضراً في المنزل المقدّس.

و كان رسول الله صلى الله عليه و آله مغمياً عليه
في تلك الساعة، فأفاق، و فتح عينيه المباركتين و سأل: ما
خطبكم! فأخبروه. فقال: **يا فاطمة! هل علمت مع من
تكلمت! قالت: الله و رسوله أعلم.**

قال: هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ، هَادِمُ اللَّذَاتِ، وَ قَاطِعِ
الْأَمْنِيَّاتِ، وَ مُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ، وَ مَرْمُلُ النِّسَاءِ، وَ مُيْتِمُ
الْأَوْلَادِ.

و لَمَّا سَمِعَتْ فَاطِمَةُ ذَلِكَ قَالَتْ: يَا مَدِينَتَاهُ! خَرِبَتْ
الْمَدِينَةُ.

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَهَا وَ ضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ الْمُبَارَكِ،
و لَمْ يَفْتَحْ عَيْنَيْهِ بَرَهَةً فَظَنَّ الْحَاضِرُونَ أَنَّ رُوحَهُ عَرَجَتْ إِلَى
ذِي الْعَرْشِ. فَهَمَسَتْ فَاطِمَةُ فِي أُذُنِهِ قَائِلَةً: يَا أَبَتَاهُ! فَلَمْ
تَسْمَعْ شَيْئاً، فَقَالَتْ: رُوحِي لَكَ الْفِدَاءُ! انْظُرْ إِلَيَّ وَ
حَدِّثْنِي!

فَفَتَحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَيْنَيْهِ وَ قَالَ: يَا بُنَيْتِي! دَعِي
عَنْكَ الْبُكَاءَ فَإِنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ يَبْكُونَ لِبُكَائِكَ. وَ نَكَفَ
الْدمع عن وجه عزيزته بيده، و اهتم بتسكينها و بشرها و
قال: اللَّهُمَّ مَنْ عَلَيْهَا بِالصَّبْرِ لِفِرَاقِي! وَ قَالَ لَهَا: إِذَا قُبِضَتْ
رُوحِي فَقُولِي: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. يَا فَاطِمَةُ! إِنَّ
كُلَّ مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ سِيرَى عَنْهَا عَوْضاً.

قالت فاطمة: يا رسول الله! من يكون و ماذا يكون
عنك عوضاً؟! ثمّ أغمض عينيه مرّة أخرى، فقالت
فاطمة: و اكرّباه! فقال رسول الله: لا كرب و لا غمّ على
أبيك بعد اليوم. أي: أنّ الحزن و الاضطراب اللذين
يسيطران على الإنسان سببهما التعلّقات الجسمانيّة، و الآن
قطعت علائق البشريّة، و تناهى إلى الأسماع النداء المتمثّل
بقوله تعالى: {إِرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً}. و
ستسرع الروح اللطيفة الودّيعّة إلى جوار رحمة ربّ
العالمين. و قد شوهد الرّوح و الريحان و جنّة النعيم، فلن
تبقى حسرة و حزن و ألم.^١

^١ ذكر آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ بعض المطالب في كتابه
القيّم «النصّ و الاجتهاد» ص ٩٣ إلى ٩٥، الطبعة الثانية، في المتن و التعليقة، و
محصّلها:

أولاً: إنّها فاطمة الزهراء سلام الله عليها بمثابة من القدس تعدل بها مريم ابنة
عمران بحكم النصوص الصريحة في السنن المتضافرة الصحيحة، فمنها ما
أخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» و غيره من أعلام أثباتهم أنّ النبيّ صلى الله
عليه و آله عاها و هي مريضة. فقال: كيف تجدينك يا بُنَيّة؟ قالت: إنّني لوجعة
و إنّّه ليزيدني أنّي ما لي طعام آكله. قال: يا بُنَيّة! أما ترضين أنّك سيّدة نساء
العالمين؟! قالت: يا أبا! فأين مريم ابنة عمران؟! قال: تلك سيّدة نساء عالمها

و أنت سيّدة نساء عالمك! أما والله لقد زوجتك سيّداً في الدنيا والآخرة... إلى آخر الحديث.

ثانياً: أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل من مريم ابنة عمران. و تفضيلها على مريم عليها السلام أمر مفروغ منه عند أئمة العترة الطاهرة و أوليائهم من الإمامية و غيرهم. صرح بأفضليّتها على سائر النساء حتى السيّدة مريم كثير من محققي أهل السنّة و الجماعة كالنقيّ السبكيّ، و الجلال السيوطيّ، و البدر، و الزركشيّ، و النقيّ المقرزيّ، و ابن أبي داود، و المناويّ فيما نقله عنهم العلّامة النبهانيّ في فضائل الزهراء، ص ٥٩ من كتابه «الشرف المؤبّد».

ثالثاً: أنّ فاطمة، و مريم، و خديجة، و آسية أفضل نساء الجنّة. أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس في ص ٢٩٣ من الجزء الأوّل من مسنده. و رواه أبو داود كما في ترجمة خديجة من «الاستيعاب»، و قاسم بن محمّد كما في ترجمة الزهراء من «الاستيعاب» أيضاً.

رابعاً: أنّ فاطمة و الثلاث خير نساء العالمين. أخرج أبو داود كما في ترجمة خديجة من «الاستيعاب» بالإسناد إلى أنس. و رواه عبد الوارث بن سفيان كما في ترجمة الزهراء، و خديجة من «الاستيعاب».

خامساً: أنّ فاطمة سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأمة. أخرج البخاريّ في ص ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه، و مسلم في باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه، و الترمذيّ في الصحيح، و صاحب «الجمع بين الصحيحين»، و صاحب «الجمع بين الصحاح الستّة»، و الإمام أحمد من حديث الزهراء ص ٢٨٢ من الجزء السادس من مسنده، و ابن عبد البرّ في ترجمتها من استيعابه، و محمّد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته، و في باب ما قاله النبيّ في مرضه من المجلّد الثاني من «الطبقات الكبرى» أيضاً. و اللفظ الذي نذكره الآن هو للبخاريّ في آخر ورقة من كتاب الاستئذان، من الجزء الرابع من صحيحه، قال: حدّثنا موسى عن أبي عوانة، عن فراس، عن عامر، عن مسروق، قال: حدّثني عائشة أمّ المؤمنين، قالت: إنّنا كنّا أزواج النبيّ

و يواصل ميرخواند الموضوع فيقول: لَمَّا دُفِنَ رسول
الله، و رجع أصحابه من قبره، جاؤوا إلى بيت فاطمة
الزهراء عليها السلام و عزّوها. فسألتهم قرّة عين النبيّ:
دفتموه؟! قالوا: نعم! قالت: كيف طابت نفوسكم أن
تحثوا عليه التراب؟! إنه نبيّ الرحمة! قالوا: يا بنت رسول
الله! نحن أيضاً محزونون لهذا المصاب، ولكن لا بدّ من
التسليم لحكم الباري سبحانه و تعالى.

عنده جميعاً لم تغادر منّا واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، لا و الله ما تخفي مشيتها
من مشية رسول الله صلى الله عليه و آله، فلمّا رآها رَحِبَ، و قال: مرحباً بابنتي،
ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ سارت فبكت بكاءً شديداً. فلمّا رأى
حزنها، سازّها الثانية، إذا هي تضحك، فقلتُ لها أنا من بين نسائه: خصّك
رسول الله بالسّرّ من بيننا، ثمّ أنتِ تبكين؟! فلمّا قام رسول الله صلى الله عليه
آله سألتها: عمّ سازّك؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله سرّه. فلمّا توقّف
قلتُ لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ لما أخبرتني. قالت: أمّا الآن فنعم،
فأخبرتني.

قالت: أمّا سازّني في الأمر الأوّل فإنّه أخبرني أنّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كلّ
سنة مرّة، و أنّه قد عارضني به العام مرّتين، و لا أرى الأجل إلّا اقترب، فاتّقي
الله و اصبري، فإنّي نعم السلف أنا لك! فبكيّت بكائي الذي رأيت. فلمّا رأى
جزعي، سازّني الثانية، قال: يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين،
أو نساء هذه الأمة؟! فضحكتُ.

علماً أنّ السيّد شرف الدين ذكر هذين الحديثين أيضاً في كتابه الآخر: «الكلمة
الغراء» ص ٢٤٢ و ٢٤٣.

و جاء في «مقصد أقصى» (= المقصد الأقصى): كلما
نظرت فاطمة إلى الحسن و الحسين، تحسّرت و تأوّهت ليّتم
ولديها حتى تشبّ النار من قلبها، و يبكي الناس دماً
لمصابها، و [كأن] ¹ الأحاب و الأصحاب جميعهم يكون
معها و ينشدون هذه الأبيات في مخاطبة سيّد الكائنات و
خلاصة الموجودات:

أهميّة مقام ولاية رسول الله و خلافته

أجل، إنّ محنة رسول الله في مرضه الذي مات فيه
يعود معظمها إلى رحمته بالمسلمين، إذ كان يرى أمّته بلا

¹ [تمت إضافة عبارة [كأن] من الهيئة العلميّة في هذا البحث ليتناسب المعنى
العربي مع ما هو مكتوب في الأصل، وهي لم تكن موجودة في الأصل العربي
المطبوع!]

راع، و كان يدرك و يفهم جيّداً الخطط المدروسة المدبّرة
لعزل أمير المؤمنين عليه السلام، و ترك الأُمَّة بلا إمام و
ولي.

و كان صلى الله عليه و آله يرى كالشمس الساطعة
أنّ خلود نبوّته و حراستها و تثبيت القرآن و تعزيره
منوطان بوجود عليّ بن أبي طالب. و إذا كبراء القوم و
رموزهم قد شدّوا عقد مآزرهم بخطط مريية لاقتلاع هذه
الشجرة و التربّع على مسند الإمامة. و الويل للأُمَّة التّعسة
إذا ولي أمورها إنسان غير بصير و غير مطلع.

و إذا حلّ الغراب و الحدأة محلّ البلبل في روضة النور
و الوحدة و العرفان و المعرفة، و يسجن الطائر الغريد
المحلّق في روضة العلم و الدراية و البصيرة في القفص
مهيض الجناح. و يجلس الجلّادون و الصيادون
المتربّصون على أريكة الأمر و النهي و الحكومة باسم
النصراء و الحمّاة و الناصحين و المتحمّسين و الأحمّاء، و
يبدّلون النبوة إلى حكومة و رئاسة ظاهريّة.

و كان أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعبيدة بن الجراح، و
المغيرة بن شُعبة، و أسيد بن حُضير، و خالد بن الوليد، و
قُنفذ بن عُمير، و سالم مولى أبي حذيفة من الأشخاص
المعروفين الذين تحبّطوا كالمجانين لإطفاء نور الولاية.^١

[ملاحظة: انتخب هذا البحث من كتاب معرفة

الإمام ج ١٣، تأليف المرحوم العلامة آية الله الحاج
السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني رضوان الله عليه،

^١ «روضة الصفا» الجزء الثاني من الطبعة الحجرية، باب وفاة رسول الله صلى
الله عليه وآله؛ وكذلك ذكر مير خواند أحوال النبي أيام مرض موته في «حبيب
السير» ج ١، ص ٤١٩ إلى ٤٢٢.

يقول: «أيها السيد العظيم! ماذا رأيت منا نحن البائسين فتركنا و ذهبَ إلى
مكان آخر؟

ما عرفنا قدرك يا ظلّ الله و لهذا منعتَ عنّا ظلك.

لم يَلقُ بك هذا العالم الضيقَ فاخترتَ الإقامة في العرش الأعلى.

مضيتَ إلى وصاله بلا وداع، و بلغت ساحة قدسه الخاصة بلا واسطة.

ولا غرو فأنت طائر عشه القدسي، إذ حلقتَ ثانية من هذا القفص إلى الرياض.

أفض علينا شيئاً من العبير الفوّاح يا زهرة الرجاء ممّا تعطّرتَ به من رياض

الحقائق.

و اسكب في أفواه الظامئين جرعة من ذلك الخمر الذي ذقته من الحقّ و ليس فيه

صداع.»

وقد تمّ توثيقه ومقارنته مع المصدر الفارسي من قبل الهيئة
العلمية في لجنة الترجمة والتحقيق، و تجدر الإشارة إلى أنّ
العبارات و الهوامش التي وقعت بين معقوفتين هي من
الهيئة العلمية]